سلسلة
نظريات الإسلام العسكرية
(٦)

النظرية الإسلامية في بناء المقاتل وإعداد القادة



اللواء الركن
محمد جمال الدين علي محفوظ

دار الاعتصام

دار الإعتصام
٨ شارع حسين حجازى ـ تليفون ٣١٧٤٨/٢٦٠٣١ ـ ص.ب ٤٧٠ ـ القاهرة
للطبع والنشر والتوزيع

النظرية الاسلامية
فى
بناء المقاتل واعداد القـــادة

سلسلة
نظريات الإسلام العسكرية

النظرية الإسلامية

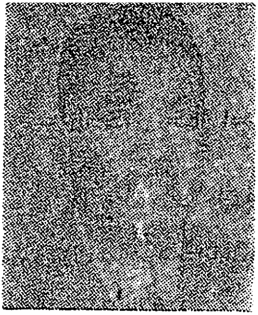
في

بناء المقاتل وإعداد القادة

اللواء أركان حرب
محمد جمال الدين على محفوظ

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم



اللواء اركان حرب
محمد جمال الدين على محفوظ

* ولد فى اغسطس ١٩٢٢ ميــلادية ووالده علم من علماء الازهر هو المغفور له الشيخ على محفوظ عضو هيئـــة كبار العلماء وأستاذ الوعظ والارشـــاد .

* مدة خدمته العسكرية ٣٣ سنة قضاها فى وظائف القيادة والتدريس والاركان والادارة العليا والتوجيـــه المعنوى والحرب النفسية والاعلام . وقد انتهت خدمته عام ١٩٧٥ م .

* تخرج فى كلية القـــادة والاركان فى مصر وحصل على دراسات عسكرية عليا فى اكاديمية ناصر العسكرية .

* حصل على دورات دراسية فى كثير من المعـــاهد الاجنبية لامريكا وانجلترا وروسيا .

* حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة .

* عمل مديرا للتوجيـــه المعنوى بعـــد حرب يونيو ١٩٦٧ م فكان من ابرز اعماله انه اقام منهج اعادة الروح المعنوية على أســـاس منهج الاســـلام .

١ ــ فجعل « الجهاد فى سبيل الله » هى عقيدة القتال للجيش .

٢ ــ وجعل « النصر أو الشهادة » هى شعار الجيش .

٣ ــ وجعل « الله أكبر » هى صيحة القتال .

٤ ــ وجعل لعلماء الدين ووعاظ الجيش دورا كبيرا فى معايشـــة الجيش وربط نشـــاط رجاله فى السلم والحرب بالدين وقد كان هذا المنهج من أهم اسباب النصر فى حرب رمضان .

* المؤلفات العلمية والكتب :

له أكثر من ٢٠ كتابا فى العلوم العسكرية وفى القيـــادة العسكرية وأساليب التعليم والادارة العلمية وفى التوجيه المعنوى وما زال بعض هذه الكتب مقررا للدراسة فى الجيش المصرى .

* تخصص فى دراسة العسكرية الاســلامية منذ أكثر من ربع قرن ووضع فيها عدة كتب وأبحاث ومقالات فى المجلات الاسلامية فى مصر والعالم العربى كما قدم عددا من الاحاديث الدينية فى الاذاعة والتليفزيون وخاصة برنامج نور على نور وشــارك فى أعمال المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقد فى لندن فى فبراير ١٩٧٩ حول الدفاع والعــالم الاسلامى ببحث عنــوانه « الفكر العسكرى فى الاسلام » والمؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنه النبوية الذى عقد فى الدوحة (دولة قطر) فى نوفمبر ١٩٧٩ .

* يحمل لواء الدعوة الى احياء أمجاد العسكرية الاسلامية باعتبارها جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية .

* ومن أحدث مؤلفــاته :

١ ـ كتاب « المدخل الى العقيــدة والاســتراتيجية العســكرية الاسلامية » .

٢ ـ كتاب « تربية المراهق فى المدرسة الاسلامية » .

٣ ـ كتاب « العسكرية الاسلامية ونظريات العصر » .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سبقت حكمته أن تكون الأمة الاسلامية ، أمة قوية مرهوبة الجانب فأوجب عليها الجهـــاد فى سبيله ، وأمرها باعداد القوة والمرابطة التى ترهب الأعداء وتخيفهم من عاقبـــة عدوانهم ، كما فى قوله جل شـــأنه : ((وجاهدوا فى الله حق جهـــاده هو اجتباكم)) (الحج : ٧٨) وفى قوله سبحانه : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)) (الأنفال : ٦٠) ..

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وامام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعـــد ...

● فان الاســـلام ، كما نظم أمور الحياة دنيا ودينا ، قد نظم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، ووضع لها المبادىء والنظريات الأساسية ، التى قامت عليها أول مدرسة عسكرية فى تاريخ العرب مكتملة الأركان وتحتوى على المبادىء والنظريات التى تقوم عليها أية مدرســـة عســـكرية شرقا أو غربا .

● وعلى أســاس هذه المبــادىء والنظريات ، قامت الاستراتيجية العسكرية الاســلامية ، التى طبقها المسلمون الأوائل فى معاركهم التى خاضوها اعلاء لكلمة الله وواجهوا بها أعداء يفوقونهم فى العدد والعدة ، فانتصروا عليهم باذن الله ، وامتــدت فتوحاتهم فى أقل من مائة عام من الصــين شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، وهزموا فى المعــركة البحــرية — وهم أبنــاء الصحراء — أسطول بيزنطة أقوى أساطيل زمانه .

● ثم تعــرض العــرب والمســلمون — يوم تخلوا عن الجهــاد — لحرب حضــارية استهدفت طمس معــالم حضارتهم وفرض التبعية عليهم حتى أصبح العسكريون فى كثير من دول العرب والاسلام يدرسون النظريات العسكرية الأجنبية ، وأعمال القادة الأجانب ، والتاريخ العسكرى الدول الأجنبية ، وكأنه ليس للعرب والمسلمين نظريات عسكرية ، ولا قادة ، ولا تاريخ عسكرى يستحق الدراسة !!.

● ان التكليف القرآنى بالجهــاد ، وباعداد القــوة والمرابطة ، تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة .

ومقتضى ذلك الا تفتر عزائم الأمة الاسلامية عى اعداد القوة بعناصرها المتعددة مع الأخذ بكل أسباب التقدم والتطور التى تفرضها طبيعة العصر .

● فواجب الأمة العربية والاسلامية — وهى تتجه نحو

النهضة الحضارية الشاملة ـ أن تتخذ مبادىء العسكرية الاسلامية ونظرياتها منطلقا لبناء قوتها الذاتية .

● فان من اهم ما تتميز به تلك المبادىء أن لها ـ بحكم انبثاقها من الدين ـ من الأصالة ، ما للدين من أصالة ، وأن لها ـ فى كل عصر ـ من القوة والصحة والكمال ، ما يجعل الجيوش التى تعمل بها ـ قوى لا تقهر باذن الله .

● ومن أجل ذلك سوف نتناول النظريات العســكرية الاسلامية بالعرض والدراسة بحيث تصدر على هيئة سلسلة تختص كل حلقة منها باحدى النظريات .

نسال الله تعــالى أن ينفع بها العرب والمسلمين وأن يوفقنا جميعا الى كل ما فيه عز الاسلام والمسلمين .

لواء
محمد جمال الدين محفوظ
٣٠ ش الشهيد عبد المنعم اسماعيل
الماظة ـ مصر الجديدة

* * *

بنـــاء المقـاتل

الانسان هو العنصر الحاسم :

يقرر العلم العسكرى أن كفـــاءة الجيوش تقوم على خمس دعائم رئيسية هى : المقاتل الكفء ، والسلاح القوى ، والانضباط ، والروح المعنوية ، وروح الفريق .

والمتأمل فى هذه الدعائم يلاحظ غلبة الجوانب المعنوية(١) على الجوانب المادية :

(أ) فالانضباط والروح المعنوية وروح الفريق مسائل معنوية واضحة .

(ب) والمقاتل وان كان يتركب من مادة وروح الا أن عنصر الروح فيه هو أساس حياته ومحرك سلوكه .

(جـ) حتى السلاح وان كان شيئا ماديا الا أنه لا يعمل بدون الانسان ولهذا نشأ فى الجيوش مبـــدأ يقول « ليست العبرة بالمدفع ولكن بالرجال الذين وراء هذا المدفع » ، ومبدأ يقول « الانسان هو سيد الآلة » .

---

(١) من الاقوال المشهورة لنابليون « ان نسبة القوى المعنوية فى الحرب الى القوى المادية كنسبة ٣ الى ١ » .

ويقول الفيلد مارشال مونتجمرى « ان القوة الحقيقية للقوات المسلحة تكمن فى الروح المعنوية والروح القتالية كما تكمن فى الانضباط العسكرى وروح الزمالة » (أى روح الفريق) ويرى أنها هى التى تدفع الجندى ليخرج من خندقه أو حفرته التى تحميه من رصاص الأعداء ، ويتقدم للأمام ويواجه الرصاص أو قذائف المدفعية معرضا نفسه للموت ..

نستخلص من هذا التحليل أن العنصر البشرى هو العنصر الحاسم فى بناء الجيوش ، فالانسان هو الذى يفكر ويضع الخطط ويقاتل ويستخدم السلاح ويقود ويتصرف فى المواقف ويصدر القرارات ، وهو الذى يصمد ويثبت ويتقدم ويقتحم المخاطر(١) . من أجل ذلك فان الجيوش تضع عملية اعداد المقاتل على رأس المسائل التى توليها كل اهتمامها ، كما حظيت هذه العملية أيضا باهتمام علماء النفس حتى أصبح هناك فرع من فروع علم النفس يسمى « علم النفس العسكرى » ، كما أصبح تنظيم الجيوش فى العالم يضم أجهزة متخصصة فى المجالات التطبيقية لعلم النفس العسكرى كالتجنيد والتوجيه المهنى والاختيار والتعليم والتدريب والتوجيه المعنوى ..

ولما كانت المعركة هى مجال الامتحان الحقيقى لكل

---

(١) قال قائد عسكرى كبير « ان ميدان المعركة سيظل حقيقة ثابتة ، وستظل أول حقيقة فى هذا الميدان هى الرجل » .

نظريات وأساليب وجهود اعداد المقاتل ، فقد أصبح الهدف الأول لخطط بناء الجيوش هو « اعداد المقاتل للمعركة » .

الانسان فى المعركة :

ويتطلب فهم أهداف وجوهر عملية اعداد المقاتل للمعركة ، أن نتعرض قليلا لما يسمى « بعلم نفس (سيكولوجية) المعركة » ، لنتعرف على ما يواجهه الانسان (البشر) — وهو يتعرض لأخطر تجربة وهى القتال — من مواقف وتحديات وعلى آثار تلك المواقف والتحديات على كفاءته القتالية .

الواقع أن المقاتل يتعرض فى المعركة — وحتى قبل أن تبدأ — للتوتر العصبى وعوامل الخوف كالخوف من التعرض للاصابة أو الوقوع فى الأسر او الحصار والخوف من الموت ، والخوف والقلق على الأسرة ، كما يتعرض أيضا لحالات التعب والارهاق وقلة النوم ، ولحالات الملل والضجر ، وللصراع النفسى الذى يدور بداخله بين الدوافع المتعارضة مثل دافع حب البقاء ودافع أداء الواجب ، كما يتعرض المقاتل أيضا لحالة الذعر التى تنشأ من تأثير الخوف الشديد أو صدمة الموقف المفاجىء .

وتشكل هذه العوامل ضغوطا نفسية شديدة على المقاتلين ، ويختلف مدى الاستجابة لهذه الضغوط والتأثر بها وتحملها من مقاتل آخر تبعا لعدة عوامل مثل تركيبه النفسى

ومستوى تدريبه وروحه المعنوية ، وقدرة قيادته الى غير ذلك من العوامل .

واذا تأثر المقاتل بهذه الضغوط تقل كفاءته فى القتال « وتضعف روحه المعنوية » وقد يصل به الأمر الى التوقف عن القتال أو الفرار من الميـــدان أو التعرض للاضطرابات العصبية والنفسية(١) التى يطلق عليها علماء النفس « عصاب الحرب » والتى تعطل تفكيره وتعطله بالتالى عن القتـــال ، أو قد تجعله غير صالح للقتال نهائيا .

ومن المفيد أن نتناول بالدراسة أخطر التحديات التى يواجهها المقاتل فى المعركة وهو « الخوف من الموت والذعر » :

يعتمل فى نفس المقـــاتل صراع دائم بين دافع غريزة حب البقاء وبين دافع الوفاء بالواجب الملقى على عاتقه .

فاذا تغلب الدافع الأول (حب البقاء) نرى المقاتل قد تدهورت قواه وقلت كفاءته وقد يستسلم أو يفر من الميدان .

أما اذا تغلب الدافع الآخر (الوفاء بالواجب) فاننـــا نرى المقاتل يحارب بشجاعة واستبسال ولا يبالى بالموت .

أما اذا لم ينته الصراع بين الدافعين الى تغلب أحدهما على الآخر ، أى ان يقف المقاتل فى مفترق الطرق ، يمنعه

---

(١) مثل الهستريا والقلق والوساوس والامراض النفسية الجسدية (السيكوسوماتية) والانهيار العصبى .

حب البقاء من التقدم ، ويمنعه ضميره من الفرار ، فان المقاتل فى هـــذه الحالة يتعرض للاضطرابات العصبية والنفســية (عصاب الحرب) كما قدمنا .

وبطبيعـــة الحال يختلف الأفراد من حيث استعدادهم للوقوع فى مثل تلك الاضطرابات بحسب استعداداتهم النفسية والجسمية والعقلية ، وتبعا للتنشئة الاجتماعية والتربية منذ مرحلة الطفولة ، وتبعا لدرجة اعداده لقتال ماديا ومعنويا .

وقد أظهرت التجارب ألتى أجراها ألبرت . ج . جلاس فى الولايات المتحدة الأمريكية(٢) أن الأفراد عنـــدما يواجهون الخطر المفاجىء ينقسمون الى فئتين :

(أ) من ١٥ الى ٢٥ بالمائة منهم يستطيعون الاحتفاظ بقواهم النفســية والعقلية ويملكون القـــدرة على التصرف الايجـــابى السريع على الرغم من احســـاسهم بالخطـــر واستمراره .

(على أنه قد يتعرض كثـــير من هؤلاء الى أن تخور عزائمهم بعد أن يزول الخطر) .

(ب) أما الفئـــة الباقيـــة (من ٧٥ الى ٨٥ بالمائة) فيصابون بالذهول والارتبـــاك فى مواجهة الخطر المفاجىء ، وقد يتبعـــون فى مكانهم أو يلوذون بالفرار دون أن يعـــوا

---

(١) انظر كتاب « علم نفس المقاتل »

ما يفعلون . وهذه النسب لا تعد قاعدة أو حقيقة علمية بطبيعة الحال الا أنها تشير الى الآثار النفسية للمعركة فى موضوعية معينة .

ويقول الجنرال فولر : « يمسك الخوف بتلابيب نصف الرجال الذين يتقدمون أثناء الهجوم ، ويشل النصف الباقى »

ثم ان الخوف أو الذعر اذا سيطر على المقاتل فى المعركة فان آثاره لا تقف عنده وحده بل قد تمتد الى غيره من المقاتلين ، فالخوف كالأمراض المعدية التى تنتقل من المريض الى الآخرين ، وهنا تكمن خطورة الخوف ، لأن آثاره تمتد الى نتيجة المعركة ومصير الجيش والأمة .

وتاريخ الحروب حافل بالمواقف التى تبرهن على خطر انتشار الخوف أو الذعر وآثاره المهلكة ، فمن ذلك مثلا أن قوة كبيرة تركت مواقعها فى المعركة فى صورة من الذعر والفوضى والارتباك على أثر سماعها صيحة مذعورة أطلقها أحد رجالها قائلا « الأعداء قادمون » .. ولم يكن هناك « أعداء قادمون » ولا غيرهم ، وحقيقة الأمر أن ذلك الجندى كان متكئا بعد الغروب فخيل اليه أنه رأى أشباحا مقبلة عليه فقفز مذعورا وصاح تلك الصيحة المدمرة .

ولعل أهم ما يستخلص من دراسة « علم نفس المعركة » أن الحرب — أولا وأخيرا — معاناة قاسية لا يتحملها الا « الانسان الصحيح نفسيا وعقليا وجسميا » وهذه المجالات

الثلاثة للصحة يكمل بعضها بعضا ، فالعلة الجسمية تؤثر فى الغالب على الناحيتين العقلية والنفسية ، والعلة العقلية تؤثر فى الجسم والنفس ، والعلة النفسية تؤثر فى الجسم والعقل وتعطل التفكير السليم .

وعملا بقاعدة « اذا صلح الأساس صلح البناء » فان عملية بناء المقاتل الصحيح الذى يستطيع تحمل معاناة الحرب القاسية ، تتجاوز الاطار العسكرى ولا تنحصر فيه ، بل تعود الى مراحل التربية الأساسية منذ الطفولة والى أساليب التنشئة الاجتماعية وغيرها من مراحل وأساليب بناء الشخصية أو « بناء الانسان » أصلا ..

منهج الاسلام فى بناء الانسان :

ولقد رسم الاسلام الطريق لبناء الفرد وبناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره وسلوكه ، حتى يكون انسانا « صحيح الجسم والعقل والنفس » ، وليجعل منه لبنة قوية متماسكة وعنصراً ايجابيا صالحا فى مجتمعه الكبير ، ومقاتلا شجاعا لا يقهر فى الحرب دفاعا عن دينه وشرفه ووطنه .

كما رسم الاسلام الطريق لبناء المجتمع الانسانى الفاضل الذى يتجاوب مع الانسان المطلوب بناؤه ، ويهيىء له المناخ الصالح للتنشئة السليمة والتربية القويمة ، كما يهيىء له الفرص التى تتيح له اظهار طاقاته المدخرة فيه .

وسنعرض فى هذا المجال لثلاث أمور هى الاسلام وبناء

الشخصية ، والاسلام والصحة النفسية ، والاسلام وصحة الأبدان .

أولا ــ الاسلام وبناء الشخصية الاسلامية :

ان جوهر الشخصية الاسلامية هو اسلام الوجه لله (١)

واسلام الوجه لله يكون فى العقيدة بالايمان بوحدانيـة الله ، ويكون فى الأخلاق بأن يتخلق الانسان بالأخلاق التى أمر الله بها وهو ما نوضحه فيما يلى :

١ ــ معالم التوحيد فى العقيدة :

ان التوحيد هو مبدأ الاسلام وجوهره ، والتوحيد ليس مجرد قول يقال ، وليس مجرد كلمة لا أساس لها فى القلب والشعور .

واذا لم يؤمن الانسان بالتوحيد ايمانا يملك عليه جميع أقطاره ، فيتغلغل فى جميع أنحاء شعوره ووجدانه ، ويغمر قلبه ونفسه ، ويكيف جسمه ويوجهه الوجهة السليمة ، فانه لا يكون كامل الايمان .

والقرآن الكريم يعرض الاسلام فى جوهره وأساسه فى

---

(١) انظر كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية (بحوث فى الفقه والتربية والمجتمع) .

قول الله تعـالى آمرا رسوله الكريم : ((**قل انما يوحى الى أنما الهكم الله واحد فهل أنتم مسلمون ؟**)) (الأنبياء ١٠٨)

وفى أمره تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى خطابه مع أهل الكتاب أن يقول لهم ((**قل يا أهل الكتاب تعـالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضـا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**)) . (آل عمران ٦٤)

ويبين الله سبحانه احدى علامات الصادقين من الأنبياء والمرسلين ، مفرقا بهذه المناسبة بين الكفر والايمان فيقول :

((**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعـد اذ أنتم مسلمون**)) . (آل عمران ٧٩ ، ٨٠)

ويبين الله سبحانه جوهر التدين فى قوله تعالى :

((**ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن**)) .
(النساء ١٢٥)

ووحدانية الله سبحانه تقتضى « ألا نعبـد ألا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا » وتقتضى الا نتخذ « الملائكة والنبيين أربابا » وتقتضى أن نكون ربانيين ، والربانية فى العقيدة أن يكون الله وحده هو المقصود المرجو .

وقد فسر الله سبحانه معنى اسلام الوجه لله حينما وضع ذروته ممثلة فى شخص الرسول صــلى الله عليه وســلم اذ يقول :

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين »
(الأنعام ١٦٢ : ١٦٣)

ومن أجل ايجاد الانسان الموحد فى صورة واقعية كانت أركان الاسلام :

(أ) **أشهد أن لا اله إلا الله** : انها رســالة السماء الخالدة ..

أشهد أن محمدا رسول الله : الذى بلغ الرسالة فأدى بهذا التبليغ الصادق الأمانة التى وكلت اليه وهى التوحيد .

(ب) **الصلاة** : انما هى انفصال عن كل ما سوى الله من أجل الاتصال بالله ، فهى توحيد .

ومن هنا كان بدؤها « الله اكبر » لتشعر الانسان من المبدأ أن جميع ما فى العالم من مادة وجميع ما فى العالم من بشر تتعلق بهم الآمال أو يناط بهم الرجاء فان الله أكبر منهم ، وأجل وأعظم فيجب أن تتعلق الآمال به وحده ، وأن يقتصر الرجاء عليه سبحانه .

ثم تتوالى لجميع الأوضاع فى الصــلاة ، من قراءة ، وركوع ، وسجود ، وتشهد ، لتعلن بكل حركة وبكل وضع ،

الانفصال عما سوى الله من أجل الاتجاه الى الله وحده من أجل اسلام الوجه اليه سبحانه .

(جـ) **والصوم** : انما هو تنزه عن المادة ، وعن السوء فى القول والعمل فترة من الزمن من أجل مرضاة الله ، انه تنزه عن النقص البشرى الذى يتمثل فى شهوات المعدة لتخلص الروح فترة الى التأمل فى كمال الله ، انه محاولة للتخلق بأخلاق الله لأنه سبحانه الكمال المطلق الذى لا يحتاج الى شىء والذى لا بد لمن يأمل فى شىء من الكمال أن يتحلى بما أراده سبحانه منه ، انه تنزه عن النقص فى سبيل التوحيد .

(د) **والزكاة** : انما هى بذل المادة فى سبيل الله ، انها بذل المادة التى يجرى وراءها البشر ويكادون يعبدونها ، بذلها بعد امتلاكها ، بذلها وقد كان فيها — لو أراد — الوسيلة للملاذ والشهوات انها تجرد عن المادة توحيدا لله سبحانه .

(هـ) **أما الحج** : فانه تجريد كله ، انه تجرد روحى عن الماضى ، فهو فى مبدئه توبة عن الذنوب والآثام أى عن الفترات التى غفل الانسان فيها عن ذكر الله ، فأشرك معه غيره واتخذ الهه هواه فنسى الله فوقع فى المعصية والاثم ، وهو تجرد حتى عن ملابس الماضى ، وهو تلبية من أول لحظاته : تلبية هى استجابة لله وحده ، أو هى توحيد خالص ، انها استجابة كاملة للأمر بنفى الشريك .

* * *

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

٢ ـ معالم التوحيد فى الأخلاق :

ومعالم التوحيد فى الأخلاق أن لا يصـــدر الانسان فى سلوكه الشخصى أو فى سلوكه الاجتماعى الا عن توجيـــه الهى ، وأن يتخلق بالأخلاق التى أمر الله بها ، وأن يكون فى كل ما يأتى وما يدع قاصدا وجه الله تعالى ، وأن تكون صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له .

والخلاصة أن جوهر الشخصية الاسلامية هو اسلام الوجه لله ، وانه بمقدار قرب المسلم من الاسلام يكون كمال شخصيته .

* * *

٣ ـ الاسلام وتحرير الشخصية :

واذا فهم التوحيد على حقيقته ، واتخذه الانسان شعارا له وطابعا ، فانه يتحرر من رق العبودية لغير الله فى مختلف الوانه واشكاله :

(أ) التحرر من خوف الموت :

فالانســـانية فى مختلف أزمنتها وأمكنتها تخاف الموت

وتخشاه ، وهذا يقودها الى الاستعباد للأقوياء والذلة أمام الطغاة .

ولكن هذا الوضع ، لا يتمشى مع عقيدة التوحيد ، فان مالك الملك انما هو وحده الذى يملك الموت والحياة ، وهو الذى قدر الآجال وحـــددها ، فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، والحرص على الحياة أو الجبن ليس من أسباب اطالة الأجل ، كما أن الشجاعة والاقدام ليسا من أسباب تقصير الأجل ، وقد بين الله تعالى ذلك فى كتابه الكريم ابانة تامة :

« كل نفس ذائقة الموت » . (آل عمران ١٨٥)

« أينما تكونوا يدرككم الموت واو كنتم فى بروج مشيدة »
(النساء ٧٨)

« ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ســـاعة ولا يستقدمون » . (الأعراف ٣٤)

« وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » .
(آل عمران ١٤٥)

أما هؤلاء الذين قالوا : **« لو كان لنــا من الأمر شىء ما قتلنا ها هنا »** فان الله سبحانه يرد عليهم **« قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم »** .
(آل عمران ١٥٤)

وهؤلاء الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا ((**لو اطاعونا ما قتلوا**)) .

فان الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم قائلا :

((**فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين**)) .
(آل عمران ١٦٨)

أما الذين يفرون أمام أعداء الله ، فهؤلاء ((**انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**)) . (آل عمرآن ١٥٥)

اذن فالمؤمن الصادق الايمان لا يعرف الجبن ، ولا يستزله الشيطان موسوسا له بالخوف من غير الله تعالى.

ومن أعظم ما يروى فى هذا المقام أنه فى غزوة أحد وبعد ان أحاط المشركون بالمسلمين من كل جانب بعد هزيمتهم ، التف حول الرسول نفر قليل من المسلمين يدافعون عنه .. وفى ذلك الموقف العصيب بايع الرسول على الموت ثمانية هم على والزبير وطلحة وأبو دجانه والحارث بن الصمة والحباب ابن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ، ووقفوا يفدونه بأنفسهم ويقاتلون دونه ويتلقون السهام والطعنات والرماح والسيوف بأجسادهم ، ومع ذلك فلم يستطع المشركون أن يقتلوا منهم واحدا وعاشوا جميعا !

((**وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا**)) .

***

(ب) التحرر من هم الرزق :

واذا كان خوف الموت هو الدعامة الأولى فى ذلة الانسان واسترقاقه ، فان الدعامة الثانية هى الرزق .

والناس عادة ينتابهم القلق ويغمرهم الحرص على أقواتهم ويلجأ بعضهم الى وسائل لا تليق بالكرامة الانسانية بل يصل الأمر بالبعض الى مستوى التملق والمداهنة والمراءاة ، وبعضهم يصل به الأمر الى الغش والرشوة والاختلاس ، وتستعبد المادة والحصول عليها الانسان فيصبح لها عبدا مسترقا .

ولكن الاسلام وقد حرر المجتمع الاسلامى من خوف الموت ، فقد حرره أيضا من هم الرزق ، فالرزق بيد الله كما يفهم من قوله تعالى :

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها » . (هود ٦)

« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » . (فاطر ٢)

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى : ان الرزق فى السماء محدد مقسوم ، وأقسم سبحانه على ان ذلك حق واقع ، لقد أقسم سبحانه لما يعلمه من ضعف الطبيعة البشرية واشفاقها وقلقها بالنسبة لأمر الرزق يقول جل شأنه :

« وفى السماء رزقكم وما توعـــدون * فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

(الذاريات ٢٢ ، ٢٣)

على أن صاحب الثراء العريض الذى يعتمد على ثرائه غير ناظر الى الله تعالى واهب الرزق والثراء ، قد يخسف الله به وبداره الأرض كما صـــنع بقارون ، أو يطوف ببساتينه ومزارعه طائف منه سبحانه فتصبح خاوية على عروشها كما فعل سبحانه بأصحاب الجنة التى قص علينا أمرهم فى القرآن الكريم فى سورة القلم .

وما من شك أن السعى على الرزق مطلوب وان العمل الجاد والكادح انما هو من سمات الاسلام ، كل ذلك حق واذا كان الرزق بيد الله تعالى واذا كان العمل مطلوبا فان ما ينهى عنه الاسلام انما هو هذه الصورة البشعة القلقة التى تحاول اقتناص المال من السبل غير المشروعة أو التى ترى أن عبدا من عباد الله بيده الرزق اعطاء ومنعـــا وبيده الرزق زيادة ونقصا أو أخذا وتركا .

وقد حرر الاسلام بموقفه هذا المجتمع من أن يكون هم الرزق سببا فى ضعفه أو ذلته .

(جـ) التحرر من وهم الحرص على الوظيفة :

والمصدر الثالث من مصادر أستعباد الانسان وذلته : « انما هو : وهم الحرص على الوظيفة أو المكانة الاجتماعية

ومن أجل ذلك يسير بعض الناس فى هذه الحياة وكل همه الاحتفاظ بوظيفته ، أو المحافظة على مكانته فيتزلف ويرائى ويعيش مطأطىء الرأس منحنيا فى ذلة وهوان ، وتلك نزعة يحاربها الاسلام ويحاول أن يجتثها من جذورها من الوسط المسلم .

وفى الحديث تلك النصيحة الحكيمة :

(واعلم أنه لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يضروك بشىء ما ضروك الا بشىء قد قدره الله عليك) .

ويقول سبحانه وتعالى :

((ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده)) . (آل عمران ١٦٠)

وخلاصة ما تقدم أن منهج الاسلام فى بناء الشخصية :

١ ــ يحرر الشخصية من الخوف على الحياة : حتى لا يكون الانسان جبانا .

٢ ــ ويحررها من هم القلق على الرزق : حتى لا ينجرف الانسان فى طلبه .

٣ ــ ويحررها من الحرص على الوظيفة الذى يقود الى التسامح فى الكرامة الانسانية .

واذا استجاب الانسان الى ذلك ، فانه يكون قد حقق التحرر الذى أراده الله ورسوله للمسلم .

وفي الحديث الشريف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهـابة منكم ، وليقـذفن فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟

قال : لا . انكم حينئذ لكثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل

فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت) .

ثانيا ــ الاسلام والصحة النفسية :

كما أن هناك صحة جسمية : هناك صحة نفسية ، وكما يصاب الجسد بالعلة الجسمية ، تصاب النفس أيضـا بالعلة النفسية .

ومفهوم الصحة النفسية(١) يعنى « قدرة الفرد على التوافق مع نفسه ، ومع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهـذا التوافق يؤدى الى التمتع بحياة خاليـة من الاضطرابات ، مليئة بالتحمس . ويتسم الفرد وفقا لهذا المفهوم بالرضا عن الذات أى رضى الفرد عن نفسه ، ولا يبدو منه ما يدل على

---

(١) الصحة النفسية للدكتور مصطفى فهمى .

عدم التوافق الاجتماعى ، كما أنه لا يسلك سلوكا اجتماعيا شاذا ، بل يسلك سلوكا معقولا يدل على اتزانه الانفعالى والعاطفى والعقلى فى مختلف المجالات وتحت تأثير جميع الظروف » .

والشخص الذى هذا نمطه ، يعتبر فى نظر علم الصحة النفسية شخصا سويا ، أو ذا شخصية سوية ، ويتمتع بالصحة النفسية .

وأهم ما تتميز به الشخصية السوية ، القدرة على التحكم فى الذات ، وتحمل المسئولية وتقديرها ، والتعاون البناء ، والقدرة على مواجهة المخاوف والقلق وأشكال الصراع المختلفة ، والتمتع باحترام الذات ، والقدرة على جذب الآخرين نحوه ، والحصول على حبهم وتقديرهم ، والمرونة فى مواجهة الواقع ، والعناية والاهتمام بغيره من أبناء المجتمع والقدرة على اتخاذ أهداف تتناسب مع قدرته على تحقيقها .

ومنهج الاسلام فى بناء شخصية المسلم يجعلها شخصية سوية متمتعة بكل مظاهر وأركان الصحة النفسية :

١ — فالاسلام اذا خالطت بشاشته القلوب يشيع فيها الطمأنينة والثبات « والاتزان الانفعالى والعاطفى والعقلى » ويقيها من القلق والخوف والاضطرابات كما يفهم من قوله تعالى :

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » . (ابراهيم ٢٧)

« فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .
(البقرة ٣٨)

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .
(الاسراء ٨٢)

٢ ــ ويعنى الاسلام بغرس أركان الصحة النفسية فى المسلم فى المراحل الأولى من عمره حتى تكون خالية من الاضطرابات والقلق ، ومن ذلك مثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس (وقد أردفه خلفه وهو صبى) بدوام الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينة فقال : **(يا غلام : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء ، يعرفك فى الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك ، لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك) .**

٣ ــ ويوجه الاسلام الانسان الى المرونة فى مواجهة الواقع ويقيه من القلق أو الحزن اذا لم تتحقق له بعض حاجاته فى الحياة ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .
(البقرة ٢١٦)

٤ ــ والصبر عند البلاء ، والشكر فى السراء من شيم

المؤمن ومن أسباب الطمأنينة والخير له ، وهو ما يفهم من قول الله تعالى :

« والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » . (البقرة ١٧٧)

« ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم » . (النمل ٤٠)

« واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم » .

(ابراهيم ٧)

وما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم (عن صهيب بن سنان رضى الله عنه) :

(عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) .

٥ ــ والملاحظ أن بلوغ سن الرشد الديني للمسلم (سن التكليف) يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى ، وينطوى ذلك على معنى عظيم وعميق هو أن يخرج الفرد المسلم الى الحياة يحمل رصيدا مناسبا من الأسس النفسية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الانسان مع نفسه ، ومن القدرة على التحكم فى الذات ، والسيطرة على نزعاته وغرائزه ، وكل ذلك بفضل الايمان والتربية الدينية الصحيحة .

٦ — ويقيم الاســلام الصلة بين المسلمين على الحب والمودة والتراحم :

— (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجســد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) .

— (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

— (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

٧ — والحياة بين المسلمين حيــاة تعــاون على البر والتقوى لا على الاثم والعــدوان ، والتسامح هو الطريق الذى يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى :

((ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)) .

وكظم الغيظ عن الناس دليل قوة النفس وتقوى الله .

٨ — والانسان وحده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحياة وصعوباتها وقد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ولذلك ينصحه القرآن بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، والمسلم بهذا مستقل عن القيم الزائفة فى مجتمعه لأنه يؤمن بالقيم التى أقرها الاسلام .

٩ — وتطلع الانســـان الى ما فى يد غيره وتطلعه الى أهداف فوق قدراته المادية والجسمية واستعدأداته الفطرية يجعله دائم الضيق والألم وقد يدفعه هذا الى الانحراف حتى يصل الى مثل ما وصل اليـــه غيره ، والقرآن يعـــالج هذه الناحية ، فيطلب من المسلم القناعة « **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** » فاذا أراد شيئا فليسأل الله من فضله فان أعطاه شكر وان لم يعطه صبر وله الثواب فى الحالتين ومع ذلك فقد يكون ما فى يد غيره مقصوداً به الفتنة ولقـــد عافاه الله منها :

« **ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا انفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** » .

(طه ١٣١)

فتستريح نفسه ويشكر الله الذى عافاه من هذا الابتلاء ويبعد نفسه بذلك عن كثير من المشكلات النفسية وهو بهذا يستعلى عن المغريات ولو كان فى حاجة اليها ، ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله أن يصفى قلبـــه وألا يجعل فى قلوبنا :

« **غلا للذين آمنوا** » .

١٠ — ويطلب الله جل شأنه من المسلمين ان يكونوا متفائلين دائما وأن يبعدوا اليأس عنهم فان المؤمن متفائل دائما :

« ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » . (يوسف ٨٧)

ويطمئنهم بأنه معهم دائما اذا سـألوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعوه :

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة دعوة الداع اذا دعان » . (البقرة ١٨٦)

وهذا نهاية الأمن والطمأنينة التى يحتاج اليها الانسان .

ثالثا ــ الاسلام وصحة البدن :

من حق الاسلام أن يسمى ــ عن جدارة ــ دين الصحة والنظافة ، ذلك بأنه اعتبر توفير أسباب العافية من صميم رسالته وأهدافه لاصلاح البشرية ورفع مستواها الى المكانة اللائقة بها حتى جعل قبول كثير من فرائضه معلقا على اتيان وسائل الأسلحة الفعالة فى مكافحة العلل والأمراض .

١ ــ فمثلا فرض « الاسلام » الصلاة . وهى وقفـة روحانية خالصة مع الله سبحانه يتفرغ فيها العبد من شئون دنياه الى مناجاة مولاه ، ولكنه حتم النظافة الكاملة قبـل الاتيان بها من حيث تطهير مخارج الأقذار وتنظيف الأطراف المتعرضة لما يحمل الجـو من أتربة وجراثيم ، ولما يزاول الناس من أعمال تساعد افرازات الجسد على التصاقها به . قال عليه السلام (**لا تقبل صلاة من أحد حتى يتوضأ**) وقال

أنس بن مالك : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا تبرز لحاجته أتيته بماء فيغسل به ، وقال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا**)) . (المائدة ٦)

٢ — وقد اشترط الاسلام بعد ذلك لصحة الصلاة طهارة الثوب والبدن والمكان ، والحق أن الاسلام قد توسع فى مسائل النظافة والعناية بها عن طريق الدين وصحة العبادة والعقيدة حتى جعل « الطهور شطر الايمان » واستغل هذه المسألة سلاحا يقضى به على كل بواعث الضعف والعلة . فانك لو رجعت الى قوله سبحانه ((**وان كنتم جنبا فاطهروا**)) لأيقنت انه قد حارب الخمول والكسل كنتيجة لارهاق الجسم بما نزف من دم الحيض والنفاس وما قذفت به الطبيعة الجنسية وما صاحبها فى غير ذلك . ففرض الاغتسال كى يستعيد الجسم نشاطه وروحانيته ويستعيض ما فقده من قوة بعد أن طرأ عليه ما غير من ذلك .

٣ — بل انه بين للناس أن الفطرة البشرية تقتضى المحافظة على النظافة فى كل ما يتصل بحياة الانسان . قال عليه السلام : (**عشرة من الفطرة . قص الشارب . واعفاء اللحية . والسواك . والاستنشاق بالماء . وقص الأظافر . وغسل البراجم . ونتف الابط . وحلق العانة . والاستنجاء . والمضمضة**) رواه مسلم .

ولقد تعهد بتذكير المسلم بالنظافة فى مناسبتها فسن غسل اليدين قبل الطعام وبعده . وأمر بالتخلل من فضلاته ورائحته قال عليه السلام : (**حبذا المتخللون من أمتى قيل : وما المتخللون يا رسول الله ؟ قال : المتخللون فى الوضوء والمتخللون فى الطعام**) .

٤ — والواقع أن الاسلام قد رمى الى الجمع بين النظافة الحسية والمعنوية لتتألف منهما جبهة قوية لمقاومة الأسباب التى تعوق الانسان فى حياته ونموه وتعـود عليه بالتـأخر والضرر . فها هى ذى الصلاة — وقد عرفت مقدماتها — نوع من الرياضة الدينية المهذبة تعود على أجزاء الجسم بالقوة والنشاط والجمال . وللرياضة منزلتها فى الاسلام فقد كان عليـه السـلام يسمح للأحبـاش أن يزاولونها فى مسجده الشريف . كما ثبت أنه عليه السلام سابق وصارع .

٥ — ولقد امتدت النظافة الى بيوت المسلمين وطرقهم اذ نبه الاسلام الى ضرورة تنظيفها وتجميلها — فقد قال عليه السلام : (**ان الله جواد يحب الجود ، نظيف يحب النظافة فنظفوا بيوتكم وأفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**) وقال : (**اماطة الأذى عن الطريق صدقة**) .

٦ — ولا يخفى أن الاسـلام يرمى دائما الى محاربة العلل والأمراض ولو من طريق غير مباشر كمـا فى الزكاة والصوم والحج . ففرض الزكاة اعانة لذوى الحاجات على مواجهة أعباء الحياة بما يقضى على الفقر والمرض كى ييسر

الجميع فى ركب الانسانية غير مصابين بما يهد قواهم ويقتل نفوسهم ويجعلهم مراتع للعلل الفتاكة والأوبئة العاصفة .

٧ — مما تقدم نوقن أن الاسلام شريعة عملية تعنى بقوة المسلمين الروحية والبدنية وهو من هذه الناحية يتطلب من المسلمين اجساما تسرى فى عروقها دماء العافية ويمتلىء أصحابها فتوة ونشاطا ليؤدوا رسالتهم فى هذه الحياة على الوجه الأتم الأكمل ((**كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه**)) . ولذا وضع للناس من أسباب الوقاية من العلل ما يصون المجتمع من الأمراض المتوطنة والأوبئة الوافدة ويحصرها فى بيئاتها المحدودة ويمكن من القضاء عليها فى سهولة منعا لتأثر الغير بها وانتشارها فى أوسع من محيطها . ومن ذلك نهيه عليه السلام عن التبول فى الماء الراكد والجارى وتحت الظلال وفى الطريق . اذ يقول : (**اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل**) .

ومن ذلك وضعه مبدأ الحجر الصحى لوقاية الناس من خطر العدوى ، اذ يقول عليه السلام فى شأن الطاعون : (**اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه**) .

٨ — وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعد أسلم طريق للمحافظة على صحة الأبدان : (**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع**) ففى هذا الحديث

توجيـــه للمسلم الا يأكل الا اذا أحس بالجوع ، واذا أكل فليخفف ولا يسرف .

وقال عليه السلام أيضـــا (**ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه**) .

٩ ـــ وقد نهى الاسلام عن اتلاف الصحة بتناول الخمور والمكيفات والتعرض للاصـــابة بالأمراض الخبيثـــة بالزنى ومزاولة العـــادة السرية والسحاق واللواط ووطء الحائض والنفساء ، ابعادا للناس عن عواقبها الوخيمة ومضـــارها المتنوعة التى أثبتتها الاحصائيات وأبانت أنها لا تقتصر على مواطنها فى الفتك والاهلاك ، وانما تتخذ لنفسها مجالا أوسع فى الأذى حتى أنها لتأخذ البرءاء ولا تعفى الأجنـــة فى بطون الأمهات . قال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » وفى السنة المطهرة (**نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر**) وفى حديث من لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ذكر من بينهم « الناكح يده » كما جاء أيضـا « السحاق من النساء زنا بينهن » وورد أيضـا « ملعون من عمل عمل قوم لوط » وقد قال تعالى :

« **ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا** » .
(الاسراء ٣٢)

« **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء**

فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن)) . (البقرة ٢٢٢)

الخلاصـــة :

١ — ان من الحقائق العلمية أن بناء الانسان أصل لبناء المقاتل .

٢ — ان منهج الاســـلام بعقيدة التوحيد فى العبـــادة وفى الأخلاق ، وباعلائه للكرامة الانسانية وتحريره للشخصية الاسلامية من كل أشكال الخوف ، ومقاومته للعبودية لغير الله ، وعنايته بالصحة النفسية والجسمية قد أرسى الأساس القوى المتين لبناء الانسان السليم العقل والنفس والجسم وبالتالى لبناء المقاتل الكفء .

٣ — ان عملية بناء المقـــاتل الكفء ليست مسئولية الجيش وحده بل هى مسئولية قومية كبرى تتجاوز الاطار العسكرى الظاهر ، وتعـــود الى مراحل التربية الأساسية والتنشئة الاجتماعية منذ الطفولة وهى المراحل التى يشترك فى المسئولية عنها كل من الأسرة والمدرسة والمسجد وكل من يتصدى للتوجيه والتربية فى المجتمع الاسلامى كله .

ولقد أثبت التاريخ أن المقـــاتل المسلم الذى تربى على منهج الاسلام ، مقاتل من طراز فريد(١) ، لا ترقى الى بلوغه

---

(١) قال عبد الله بن عمر : التمسنا جعفر بن أبى طالب (وكان قد تولى القيادة بعد استشهاد زيد بن حارثة القائد الاول) فى القتلى يوم مؤتة ، فوجدنا فيما اقبل (اى فى جسده من الامام مما يلى وجهه) من جسده بضعا وتسعين ضربة ورمية وطعنة ليس منها شىء فى دبره (ظهره) . رواه البخارى

أعظم الأساليب التى قررتها عقول القــادة والمربين فى كل زمان ومكان :

فالموت فى المعركة أمرا لا يخافه المقاتل المسلم ، بل هو عنده أمل يسعى الى الظفر به ، لأن الشهادة فى الجهاد فى سبيل الله وسيلة للفوز بالجنة والمغفرة والرضوان ، والحرب النفسية التى يريد بها العــدو تدمير المعنويات ، لا تؤثر فى المقاتل المسلم ، بل تزيد من ايمانه ومن أرادته القتالية :

((الذين قال لهم النــاس ان النــاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا)) . (آل عمران ١٧٣)

وتجتمع للمقاتل المسلم كل السجايا والفضائل الحربية على أمثــل واكمل الوجوه ، مثــل الشجاعة وقوة التحمل والخشونة ، والحزم والصراحة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والانضــباط والطاعة وتقــدير الواجب ، والايمان بالحق ، والقتال عن عقيدة ..

بذلك كان المقاتل المسلم مقاتلا لا يقهر ، والسر هو ((الاسلام)) !!

يكفى أن نقارن حالة العرب قبل الاسلام بحالهم بعــد الاسلام ، لندرك سر ذلك التحول العظيم الذى حدث لهم بعد الاسلام .

فلقد كانت للعرب قبل الاسلام خبرة طويلة بالحروب ، وكانوا يتمتعون بكثير من السجايا الحربية اللازمة للمقــاتل

الكفء وكانوا لا يهابون الموت ، وكانوا يبذلون دماءهم سخية فى سبيل الكرامة والحرية بل كانوا كما قال شوقى رحمه الله فيهم :

لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دينا

لكنهم لم يحققوا ما حققوه بعد الاسلام من فتوحات امتدت فى أقل من مائة عام من سيبريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا .

ثم نتأمل فى سر آخر، فلقد كان النبى صلى الله عليه وسلم فى قتاله دفاعا عن الدين ، يحارب عربا بعرب ، بل قرشيين بقرشيين ، فلماذا كان المسلمون ينتصرون ، على الرغم من تفوق أعدائهم فى العدد والعدة ؟.

ان النتيجة المنطقية التى تستخلص من ذلك هى أن الاسلام ، هو سر ذلك التحول العظيم الذى حدث للعرب حتى صارت اليهم مقادة العالم ، ووصلوا الى القمة التى لم تصل اليها أمة ، وحققوا بجهودهم وجهادهم وسمو اخلاقهم قول الله فيهم :

« كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . (آل عمران ١١٠)

وقد قال الله جل شأنه فى القرآن :

« قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى » . (فصلت ٤٤)

اعـــداد القادة

اسمى مهام القيادة

ان اعداد قادة المستقبل من أسمى مهام القيادة ، وقيمة اية قيـــادة تقاس بمقدار ما صنعت وقدمت لأمتها من رجال صالحين لتولى القيادة .

وهناك ـــ فى هذا المجال ـــ نمطان مختلفان من القادة :

١ ـــ القائد المعلم :

وهو قائد مؤمن برسالته ، ومدرك لمسئوليته كقـــائد ومداها ، فيجعـــل على رأس أهتماماته اعداد معاونيـــه ومرءوسيه للقيادة ، فنراه يتعهدهم بالتدريب والتوجيه ومن ذلك مثلا أن يفوض اليهم بعض السلطات ، ويعهد اليهم ببعض المهام ، ويسند اليهم القيادة فى غيابه وهو مطمئن الى قدرتهم على النهـــوض بأعبائها ، ويتحدث عنهم ويشـــيد بأعمالهم ويفخر بهم .

٢ ـــ القائد السلبى :

والنمط الثـــانى هو القائد السلبى الذى لا تصـــل به قدراته أو قد لا يصل ايمانه وادراكه لمسئوليته الى حد السعى الى اعداد غيره للقيـــادة ، فنراه لا يهتم بأكثر من تصريف

الأمور ، ويترك معاونيه ومرءوسيه لعوامل الصدفة فى التعليم ، وبعض القادة من هذا النمط يركز كل الأمور فى يده ، ويتصور أن من صالحه أن يقال عنه ان الأمور تختل لو غاب عن قيادته ، وقد ينطوى هذا السلوك على سوء النية والحقد وكراهية النجاح لغيره فيتضاعف ضرره .

القائد فى الاسلام صاحب مدرسة ورسالة :

وواضح أن نمط القائد المعلم هو النمط الذى يدعو اليه الاسلام ، والذى لا يرتضى عنه القائد المسلم بديلا .

ان القائد المسلم صاحب مدرسة ورسالة ، ويدرك تمام الادراك أن قيامه باعداد أجيال من القادة ، من أسمى واجباته ، وأمانة فى عنقه ، فتراه يقبل على أداء الواجب وعلى الوفاء بالأمانة ، بكل حماسة واخلاص وحيوية دافقة ..

ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة ..

فلقد كان الرسول الكريم هو المعلم الذى تنزل عليه الوحى برسالة الاسلام ليبلغها لناس ، وصاحب المدرسة التى تخرج فيها قادة أمم ، وأبطال حرب ، ورجال اصلاح ، وعلماء وفلاسفة ، ورواد حضارة ...

ولم يكن هذا الانجاز الرائع أمرا يسيرا أو هينا ، يكفى

أن نقارن بين حال العرب قبل الاسلام وحالهم بعد الاسلام حتى ندرك السر فى ذلك التحول الكبير ..

فلقد حمل الرسول الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وجاهد حق الجهاد ، فكانت مدرسته خير مدرسة وحدت بين الناس ، وجمعت قلوبهم على الحق ، وقادتهم الى الخير وحملت مشاعل الحرية والنور والحضارة للانسانية جمعاء ، وحقق العرب بعد الاسلام فتوحات امتدت — فى أقل من مائة عام — من سيبريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، ومن الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا .

وقد بلغ عدد قادة الفتوحات ٢٥٦ قائدا منهم ٢١٦ من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وأربعون من التابعين باحسان رضوان الله عليهم اجمعين .

أسس النظرية الاسلامية فى اعداد القادة

ويمكن — من دراسة توجيهات الاسلام فى القيادة وصفاتها ومبادئها التى ذكرناها : أن نستخلص الأسس التى تقوم عليها نظرية الاسلام فى اعداد القادة .

* * *

الأساس الأول

اكتساب القائد لصفات المقاتل :

ان بناء المقاتل أساس لبناء القائد ، فلا يقود المقاتلين

الا مقاتل ، وقد قررت النظرية الاسلامية لبناء المقاتل خير المناهج التى تكفل أن تجتمع للفرد كل السجايا والفضائل الحربية على أمثل وأكمل الوجوه مثل الشجاعة وقوة التحمل والخشونة والحزم والصراحة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والانضباط والطاعة وتقدير الواجب والايمان بالحق والقتال عن عقيدة ، كما قررت خير المناهج لتدريبه عمليا على القتال .

* * *

الأساس الثانى

التحلى بصفات القيادة :

ويوجه الاسلام القادة الى التحلى بصفات القيادة(١) ، وذلك من خلال :

(أ) القدوة التى يقدمها والمثل الذى يضربه القائد المعلم .

(ب) ممارسة القائد للنقد الذاتى للتعرف على نقط الضعف لديه وعلاجها .

* * *

---

(١) انظر « النظرية الاسلامية فى القيادة الحربية » الكتاب الثانى من سلسلة نظريات العسكرية الاسلامية .

الأساس الثالث

المشاركة فى التخطيط للمعارك (الشورى) :

ومن أهم ما يفيد فى اعداد قادة المستقبل اشتراكهم فى التخطيط للمعارك بالتفكير والمناقشة وابداء الراى ، ويدخل ذلك فى نطاق مبدأ الشورى الذى أمر به الاسلام ، وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم خير ما يكون التطبيق ، حتى قال عنه أبو هريرة رضى الله عنه « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » **ويحقق مبدأ الشورى من زاوية اعداد القــادة أهدافا عدة نذكر منها :**

١ — تدريب الأفراد على فن التفكير واستخدام العقل والتعبير عن الرأى .

٢ — تدريبهم على حل المشكلات بالطريقة العلمية ، والطريقة العلمية هى المدخل الصحيح للوصول الى القــرار السليم على أساس من تحــديد الأهداف بوضوح ، وتحليل وفحص المعلومات والمعطيات ، واستعراض الحلول والبدائل المختلفة لحل المشكلة ، واختيار الحل أو البــديل الأمثل ثم اختبار هذا الحل وتقييمه ، ومن خلال هذا التدريب يكتسب قادة المستقبل القدرة على اصــدار القرارات السليمة وفى الوقت المناسب وهى من أهم خصائص القيادة الناجحة .

٣ — تدريبهم على المبادأة والتصرف السليم فى المواقف التى تواجههم دون الحاجة الى الرجوع الى القيادة وخاصة فى المواقف المفاجئة أو التى لا تحتمل التـأخير ، وذلك لأن مشاركتهم فى التخطيط تتيح لهم معرفة واسعة بنوايا القائد وأهدافه ، واحاطة وافيـة بجوانب الموضوع ، تمكنهم من اتخاذ القرار السليم فى المواقف بهدى تفكيرهم وحده .

والأمثلة على تطبيق مبدأ الشورى(١) فى الاسلام أكثر من أن تحصى :

— ففى غزوة بدر استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مبدأ دخول المعركة ضد قريش واستقر الرأى على قبول المعركة ، وعندما وصـل جيش المسلمين الى مكان المعركة نزل الرسول على رأى الحباب بن المنذر الذى أشار بأن ينتقل الجيش الى مكان آخر أفضل من الأول لأنه قريب من ماء بدر .

— وفى غزوة أحد استشار النبى أصحابه فى مبدأ البقاء فى المدينة ولقاء قريش فيها أو لقائهم خارجها ، فاستقر الرأى على الخروج ، واستجاب الرسول صلى الله عليـه وسلم وقال لهم : (**لكم النصر ما صبرتم**) .

— وقد استشار الرسول أصحابه فى كافة غزواته عدا

---

(١) انظر « النظرية الاسلامية فى القيادة الحربية » (الكتاب الثانى من سلسلة نظريات العسكرية الاسلامية) .

غزوة الحديبية لأنه كان يصر فيها على نواياه السلمية التى تؤمن الاستقرار الضرورى لانتشار الاسلام ، وكان يصدر فى ذلك عن حكمة وبعد نظر وسياسة رشـــيدة أدركها أصحابه فيما بعد حين رأوا ما حققه الصلح من خير للدعوة .

***

الأساس الرابع

تولى قيادة بعض مهام القتال المحدودة :

ولا شك أن تولى القيادة الفعلية هو تتويج للجهود التى تستهدف أعداد القادة ، اذ أن من مبادىء الاعداد والتدريب ، الانتقال من المرحلة النظرية الى مرحلة التطبيق العملى تحت اشراف القائد المعلم وتوجيهه .

وقد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى أصحابه بالقيادة فى أشكال متعددة من أعمال القتال المحدودة مثـــل دوريات الاستطلاع ودوريات القتـــال ، والاغارات ، ومن خصائص هذه الأعمـــال انها محدودة فى الأهداف والقـــوة اذ تتراوح القوة التى تتألف منها من بضعة أفراد الى بضع مئات وتعتبر مقدمة لتولى مهام أكبر منها ، وهى تفيد القائد من جوانب كثيرة منها دراسة الأرض والطرق واستطلاع أحوال العدو والدخول معه فى تجربة القتـــال الفعلى لسبر أغواره واختبار قوته وقدراته القتـــالية ، الى غير ذلك من جوانب الخبرة القتالية .

ومن أمثلة تلك المهام ما يلى :

١ ــ دوريات الاستطلاع :

سرية عبد الله بن جحش وقوتها ١٢ رجلا فى رجب من السنة الثانية للهجرة .

٢ ــ دوريات القتال :

• سرية حمزة ــ وقوامها ٣٠ رجلا بقيادة حمزة بن عبد المطلب فى رمضان من السنة الأولى للهجرة .

• سرية عبيدة بن الحارث ــ وقوامها ٦٠ رجلا بقيادته فى شوال من السنة الأولى للهجرة .

٣ ــ الاغارات :

• سرية أبى سلمة وقوامها ١٥٠ رجلا بقيادة أبى سلمة ابن عبد الأسد فى ذى الحجة من السنة الثالثة من الهجرة .

• سرية عكاشة ــ وقوامها ٤٠ رجلا بقيادة عكاشة ابن محصن الأسدى فى ربيع الأول من السنة السادسة للهجرة .

* * *

الأساس الخامس

قيادة وحدات الجيش تحت القيادة العليا للرسول :

وهى صورة أخرى لاعداد القادة ، وذلك بأن يتولوا قيادة الوحدات التى يتألف منها جيش المسلمين تحت القيادة

العليا للرسول عليه الصلاة والسلام فى المعركة . وهذا الأسلوب يفيد القادة من عدة نواح نذكر منها :

١ — مباشرة القيادة الفعلية تحت اشراف القائد الأكبر والافادة من توجيهاته وملاحظاته .

٢ — اتاحة الفرصة العملية لملاحظة أسلوب القائد المعلم فى القيادة الحربية من حيث التخطيط للمعركة وادارتها وتصرفه فى مواقفها ، وهى فرصة ممتازة للتعلم على الطبيعة ، واكتساب الخبرة القتالية .

وقد أتاح الرسول القائد صلى الله عليه وسلم تلك الفرصة لأصحابه على أمثل وجه كما يتبين من التحليل التالى :

١ — بلغ مجموع أعمال القتال المختلفة التى دارت فى عهد الرسول اكثر من ستين عملية تولى الرسول بنفسه قيادة ثمان وعشرين منها .

٢ — احتوت العمليات التى قادها الرسول بنفسه على شتى صور وأشكال العمليات العسكرية .

● **دوريات القتال والاغارات :**

مثل غزوة الأبواء — غزوة بواط — غزوة العشيرة — غزوة بدر الأولى — غزوة بنى سليم .. الخ .

● **المعارك الدفاعية :**

مثل غزوة بدر — غزوة أحد — غزوة الخندق .

● **المعارك الهجومية :**

مثل غزوة فتح مكة ــ غزوة حنين ــ غزوة تبوك .

● **الحصار :**

مثل غزوة بنى قريظة ــ حصار الطائف .

● **مهاجمة القرى والمواقع الحصينة والقتال فى المدن :**

مثل غزوة خيبر .

● **المطاردة :**

مثل غزوة حمراء الأسد .

وهكذا قدم الرسول القائد لأصحابه القدوة والمثل فى قيادة كافة أشكال العمليات العسكرية ، هذا بالاضافة الى أنه عليه الصلاة والسلام كان يعينهم فى قيادة ألوحدات التى يتألف منها الجيش تحت قيادته فى المعركة كما ذكرنا ، وفيما يلى بعض الأمثلة على ذلك :

١ ــ فى غــزوة بدر كان الجيش يتألف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين يقودها على بن أبى طالب ، وكتيبة الأنصار يقودها سعد بن معاذ .

٢ ــ فى غزوة الفتح كان الجيش يتألف من أربعة أرتال يقودها أربعة من القادة هم الزبير بن العوام وخالد بن الوليد وسعد بن أبى عبادة وأبو عبيدة بن الجراح .

ثم انه اذا ما راجعنا سجل الغزوات الثمانى والعشرين التى قادها النبى بنفسه ، وأنعمنا النظر فى التوزيع الزمنى والكمى لهذه العمليات فسوف نخرج بالحقائق التالية :

التاريخ	عدد العمليات
السنة الثانية للهجرة	٨
السنة الثالثة للهجرة	٤
السنة الرابعة للهجرة	٣
السنة الخامسة للهجرة	٤
السنة السادسة للهجرة	٣
السنة السابعة للهجرة	٢
السنة الثامنة للهجرة	٤
المجمـــوع	٢٨

من ذلك نرى :

أولا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرص على مباشرة القيادة بنفسه طوال فترة الصراع من السنة الثانية الى الثامنة للهجرة ، وفى كل سنة من سنواتها بلا استثناء ، مع اتاحة الفرصة ــ فى نفس الوقت ــ لأصحابه أن يتولوا قيادة غيرها من أعمال القتال .

ثانيا : قاد النبى فى السنة الثانيـــة للهجرة ــ اى فى بداية الصراع ــ أكبر عدد من أعمـــال القتال وهو ثمانى

غزوات بينما لم يزد متوسط عدد العمليات التى قادها فى كل سنة بعد ذلك عن ٣ ــ ٤ عمليات .

وهذا التركيز له دلالاته التى لا تفوت القائد المحنك الخبير بفن الحرب ، ويعد فى نظر الاستراتيجية العسكرية من علامات القيادة الحربية الفذة ، كما يعتبر ــ فى مجال اعداد القادة للمستقبل ــ درسا عمليا من أعظم الدروس التى يقدمها القائد المعلم :

١ ــ فهو يتيح للقائد الأعلى ــ فى بداية الصراع وقبل تصاعده ــ الفرصة لدراسة مسرح العمليات دراسة شخصية من الناحية الطبوغرافية (مثل طبيعة الأرض والطرق والهيئات الطبيعية وموارد المياه .. الخ) ومن الناحية الديموجرافية (مثل تركيب السكان وتوزيعهم ومظاهر الكثافة والتخلخل السكانى .. الخ) وكل ما يمكن القائد من تحديد الأهداف الاستراتيجية .

٢ ــ ويتيح للقائد كذلك الفرصة لدراسة العدو عن طريق الاحتكاك المباشر ، وتقييم كفاءته القتالية ماديا ومعنويا ، ودراسة أساليبه فى القتال وأسلحته التى يستخدمها واكتساب الخبرة القتالية .

٣ ــ هذه الدراسة الشخصية الشاملة ، تمكن القائد من التخطيط السليم لجميع العمليات الحربية المقبلة لا على المستوى الاستراتيجى فحسب بل على المستوى التعبوى

والتكتيكى(١) ايضا على أساس ما اكتسبه من خبرة عملية فى القتال على كل هذه المستويات بالاضافة الى درايتـــه بفن الحرب .

٤ ـــ ونتيجة لذلك تنمو لدى القائد ثقته فى نفسه وفى كفاءته وفى قراراته كما تنمو لدى سائر أفراد الجيش ثقتهم فى أنفسهم وفى قائدهم ، فيواجهون تحديات الصراع المقبـــلة واثقين فى النصر .

* * *

الأساس السادس

تولى مركز القائد الثانى فى المعركة :

ومن صور التدريب على القيادة ان يعين الفرد فى مركز القائد الثانى فى المعركة ، وهذا التعيين يمنحه الفرصة لتولى القيادة اذا أصيب القـــائد الأصلى أو استشهد أو غاب عن المعركة لأى سبب .

وقد أتاح الرسول القائد صلوات الله وســـلامه عليه

---

(١) يقسم الخبراء العسكريون من الحـــرب الى مســـتويات ثلاث مندرجة من أعلى قيادة الى أسفل حتى مستوى المقاتل :

ـــ المستوى الاول ويسمى الاستراتيجية .

ـــ والمستوى الثانى مستوى تعبوى .

ـــ والمستوى الثالث تكتيكى ويتعلق بالقتال الفعلى .

لأصحابه تلك الفرصة فكان حريصا على أن يعين مع القائد الذى يختاره قائدا ثانيا بل وثالثا فى بعض الأحيان ، ومن أمثلة ذلك :

١ — فى غزوة بدر عين عمير بن هشام قائدا ثانيا مع على بن أبى طالب فى قيادة كتيبة المهاجرين وحمل رايتها .

٢ — فى غزوة مؤتة عين جعفر بن أبى طالب قائدا ثانيا ويليه عبد الله بن رواحة مع زيد بن حارثة الكلبى القائد الأصلى .

* * *

الأساس السابع

تولى القيادة الكاملة المستقلة للمعارك الكبيرة :

وهذا أرقى صور اعداد القادة ، حيث يباشر القائد مسئولية القيادة كاملة لاحدى المعارك الهامة وقد أتاح الرسول القائد تلك الفرصة لأصحابه كما فى غزوة مؤتة حين عين زيد بن حارثة الكلبى قائدا لجيش المسلمين الذى كان يتألف من ثلاثة آلاف مقاتل .. ولا بد من تفسير لاختيار لزيد بن حارثة الكلبى لقيادة تلك الغزوة على الرغم من أنها كانت تنطوى على كثير من الظروف الصعبة من وجهة نظر فن الحرب :

١ — فهى تتطلب مسير اقتراب طويلا من المدينة الى حدود الشام (أكثر من خمسمائة كيلو متر) .

٢ — وسوف تدور المعركة بعيدا عن مركز القيــادة العليا (فى المدينة) مما يضع القائد وحده فى مواجهة المعركة ويحمله المسئولية الكاملة عن ادارتها وعن نتائجها .

٣ — لن يواجه جيش المسلمين فى هذه المعركة القبائل العربيـــة فقط بل انه سوف يواجه جيش الروم البيزنطيين اذ كان من أهداف الغــزوة اظهــار قوة المسلمين لهم وهى مواجهة تحدث لأول مرة .

وتفسير اختيار الرسول صلوات الله وسلامه عليــه لزيد بن حارثة لتولى القيادة فى تلك المهمة الصعبة والحاسمة يقدم لنا دليلا واقعيا على عظمة النظرية الاسلامية فى اعداد القــادة :

١ — فزيد بن حارثة الكلبى هو مولى رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد لازمه منذ غزوة بدر ، فأتاح هذا القرب لزيد أن يتعلم من الأصل والمنبع كافة أشكال التعليم من تلقين وتدريب وملاحظة وتوجيه ، كما كشف للرسول القــائد عن شجاعة زيد وكفــاءته وخصائصه وملكاته ومواهبــه التى ترشحه للقيادة .

٢ — بلغ عدد أعمــال القتــال التى قادها أصحاب الرسول الى ما قبل غزوة مؤتة فى جماد أول سنة ثمان للهجرة ثلاثين عملية قاد زيد بن حارثة خمسا منها بينما لم يحظ أحد ممن قادوا العمليات الباقية بأكثر من عملية واحدة فيما عدا غالب بن عبد الله الليثى الذى قاد ثلاث عمليات وبشير بن

سعد الأنصارى الذى قاد عمليتين . وهذا ـــ فضلا عن كونه دليلا على كفاءة زيد التى جعلته يحظى بهذا الشرف الكبير ـــ دليل على عناية الرسول باعداد زيد لتولى القيادة فى المعارك الكبيرة ، على أن تكون تلك العمليات الخمسة بمثابة اختبار عملى يثبت فيها لنفسه وللمسلمين أنه كفء للقيادة ، وجدير بالثقة الممنوحة له ، ويبشر بتحقيق الآمال المعقودة عليه .

وكانت تلك الأعمال القتالية الخمسة من نوع دوريات القتال والاغارات التى تنوعت فى أهدافها وحجمها وبدأت أولاها خلال الفترة فيما بين بدر وأحد ، وكان قوامها مائة رجل .

أما باقى السرايا فقد جرت فى العام السادس من الهجرة ، وكانت السرية الأخيرة (الخامسة) تتألف من خمسمائة رجل .

٣ ـــ وقد أثبت زيد فعلا فى تلك العمليات الخمسة كفاءة عالية فى القيادة اذ أنها جميعا بلا استثناء حققت أهدافها التى رصدت لها ، وان دل هذا على شىء فانما يدل على فراسة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد نظره فى اختيار القادة واعدادهم للقيادة .

٤ ـــ ثم أثبت زيد فى النهاية وهو يقود جيش المسلمين فى غزوة مؤته أنه قائد بطل ، فلم تهتز أعصابه وهو يواجه عدوا متفوقا عليه تفوقا ساحقا فى العدد والعدة ، بل بدأ بنفسه الهجوم مندفعا براية جيش الاسلام الى صفوف العدو ،

وحارب مستقبلا مستميتا حتى استشهد بعــد أن مزقتــه رماح العدو .

الأساس الثامن

رعاية الموهوبين والاشادة بكفاءتهم :

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصـــا على الاشادة بمن يثبتون كفاءتهم ، وبمن تظهر مواهبهم فى القيادة الحربية ، بحيث تبشر بمستقبل باهر لهم ، ومن أمثلة هؤلاء خالد بن الوليد .

ولعل مما يثــير العجب أن الرسول أشاد بخالد بأن سماه « سيف الله » وهو مرتد على رأس جيش المســلمين منسحبا من مؤته ، وكان المسلمون فى المدينة يتلقون العائدين بالنكير والتشهير ، ويحثون فى وجوههم التراب ، ويصيحون بهم أينما وجدوهم :

يا فرار ! يا فرار !.. فررتم من سبل الله !

ان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام قد قدم بهــذا صورة رفيعة لتصرف القائد الذى يحرص على ألا يدع مثل هذا الموقف يقضى على المستقبل العسكرى لقــائد لديه من الملكات والقدرات والمواهب ما يجعله كفؤا لتولى القيــادة الحربية على أعلى المستويات .

ان الرسول لم يواجه ذلك الموقف الذى ساد فيه الاتجاه العام « بالادانة » بالأساليب المعتادة التى نقرأ ونسمع عنها

والتى تتراوح بين السكوت أو التبزير أو المحاكمة ـــ وان انطوت على ظلت ـــ ارضاء للشعور العام .

والجدير بالذكر أن خالد بن الوليد لم يكن معينا من قبل الرسول للقيادة فى غزوة مؤته فيقول قائل انه ينصر قائدا هو المسئول عن اختياره ، وهو من ثم المسئول عن ارتداده أو فراره ، ولكن خالدا اختير للقيادة بالاجماع بعد استشهاد قادة الجيش الثلاثة الذين عينهم الرسول لتولى القيادة بالتعاقب .

وهكذا واجه الرسول الموقف بما لم يكن فى حساب أحد ، ربما لا يمكن أن يصل اليه فكر أعظم القادة ، فسمى خالد بن الوليد « سيف الله » ، ولا غرابة فى ذلك فالرسول هو الينبوع الفياض من تلك الفطرة العلوية التى فطرها الله لهداية الأمم وقيادة الرجال ، بل لقيادة القواد الذين يرضون الأمم والرجال .

ولقد شهد التاريخ العسكرى لخالد بن الوليد بالعبقرية العسكرية ووضعته أعماله الرائعة فى فتوحات الاسلام فى عداد القادة العظماء فى التاريخ .

ووجه العبقرية فيما فعل الرسول وفراسته وعرفانه الشامل بخصائص النفوس وسبره العميق لأغوار الطبائع والأفكار ، يكمن فى أنه صلوات الله وسلامه عليه أطلق ذلك الاسم على خالد مبكرا اثر أول معركة يشترك فيها بعد

اسلامه بشهرين أو ثلاثة ، وقبل أن يقوم بأعماله الحربية البارزة فى التاريخ .

ولو أن خالدا رضى الله عنه قضى نحبه فى السنة العاشرة للهجرة أو بعد ذلك بقليل لعجب المؤرخون كيف سمى « سيف الله » ، وفيم استحق هذا اللقب الذى لا يعلوه لقب فى الاسلام ، ولكن النبى وحده ، قد عرف قبل الحادية عشرة للهجرة أنه حقيق بهذا اللقب على أوفى مداه ، وسماه به قبل أن يهزم المرتدين (فى عهد أبى بكر) وقبل أن يهزم الفرس والروم ، وقبل أن يصون للاسلام جزيرة العرب ويضم اليها العراق والشام ، وهى الأعمال الجسام التى من أجلها يدعى اليوم سيف الاسلام .

وانما هو البصر العلوى الذى يلمح هذه القدرة فى معدنها حيث ينظر الناس فيرون خالدا مرتدا من غزوة مؤته(١) ، فيطلق عليه ذلك اللقب الرفيع ، فيحفظ له مستقبله العسكرى العظيم الذى كان جديرا به .

---

(١) الواقع أن قرار خالد بعد توليه القيادة مباشرة بالانسحاب ، كان قراراً سليما تماما ، وكان هو الحل الامثل لتخليص جيش المسلمين من الفناء فى معركة غير متكافئة ، والمعروف أن الانسحاب من أصعب العمليات العسكرية واخطرها ، اذ كيف يمنع القائد جيش الاعداء من مطاردته وهو منسحب والاجهاز عليه ، ذلك هو الاختبار الحقيقى لكفاءة القائد وعبقريته الحربية ، وهذا بالضبط ما أظهره خالد بن الوليد ، فقد صمد فى المعركة

حتى المساء ، ثم بدل مواقف الجيش تحت الليل فنقل الميمنة الى الميسرة ، ونقل الميسرة الى الميمنة ، وجعل المؤخرة فى وضع المقدمة والمقدمة فى موضع المؤخرة ، ورصد من خلف الجيش طائفة يثيرون الغبار ويكثرون الجلبة عند طلوع الصباح ، فلما طلع الصباح على الفريقين اذا بالاعداء من طوائف الغسانيين والروم يرون قبالتهم وجوها غير الوجوه واعلاما غير اعلام ، واذا بالجلبة مع هذا الاختلاف فى الوجوه والاعلام توهمهم أن مددا جديدا اقبل على جيش المسلمين ، وكانوا قد ذاقوا منهم أمر المذاق بغير مدد وهم مفاجاون ، فكيف وقد اتاهم المدد ؟ وهكذا وبهذه الخطة البارعة فى خداع الاعداء استطاع خالد ان ينجو بالجيش من المطاردة ويخلصه من الفناء .

الكتاب القــادم :

النظرية الاسلامية
فى
العلم العسكرى والتدريب على القتال

دار العلوم للطباعة
القاهرة: ٨ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٥٢٥٧
الترقيم الدولى ٥ ــ ٥٤ ــ ٧٣٠١ ــ ١٩٧٧